(الْمَسُّ) و(الْإِصَابَةُ) فِي الِاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ

The Qur'anic Usage of "المسّ" (Al-Mass) and "الإصابة" (Al-Isabah)

أ.د.زهير محمد علي الأرناؤوطي
Prof. Dr. Zuhair Muhammed Ali Al-Arnaouti

العراق / جامعة بغداد/ كلّيّة التّربية (ابن رشد) / قسم اللّغة العربيّة.
Iraq / University of Baghdad College of Education/ Ibn Rushd
Department of Arabic.

Email:a464944@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

اختلف اللّغويون والمفسّرون في وقوع الترادف في اللّغة العربيّة؛ فمنهم من قال به ومنهم مَن أنكر وقوعه وحاول إخراج الكلمات الّتي أُدّعِيَ فيها التّرادف من ميدانه، وازداد الخلاف حِدّةً في ألفاظ القرآن الكريم، فكانوا فريقين؛ الأوّل: لا يمنع وقوعه في لغة القرآن ويعدّه من باب التّفنن في القول، والثّاني: يرفض القول به ويرى أنّ لكلّ كلمة، بل لكلّ حرف في القرآن معنًى خاصًّا به لا يقوم مقامه آخر؛ وهذا الفريق يحاول البحث عن فروق دلاليّة بين الألفاظ الّتي قيل بترادفها، بمتابعة كلّ لفظة في سياقاتها المختلفة والخروج بحصيلة تكشف الفرق الدّقيق بين اللّفظتين.

والباحث من الفريق الثّاني، وقد تناول في بحثه هذا (المسّ) و(الإصابة) في القرآن الكريم، وتتبّع الاستعمال القرآنيّ لهما بتحليل السّياقات الّتي وردا فيه، محاولًا إيجاد الفرق الدّقيق بينهما، رافضًا القول بتساويهما استنادًا إلى مبدأ يؤمن به الباحث هو رفض القول بالتّرادف؛ ولا سيَّما في كتاب الله تعالى، الّذي يجعل لكلّ كلمة، بل لكلّ حرف قيمة تعبيريّة، فترد الكلمة في سياقها معبّرة تمام التّعبير عن المعنى المراد مراعاة لكلّ ظروف القول الدّاخليّة والخارجيّة (المقاليّة والمقاميّة)..

وخرج البحث بنتيجةٍ مفادُها أنّ بين اللّفظتين فرقًا دقيقًا هو أنّ لفظ (المسّ) يُطلق بلحاظ المفعول (الممسوس) ويعبّر عن مقدار استشعاره بالنّفع أو الضّرر من جرّاء المسّ، ولفظ (الإصابة) يُطلَق بلحاظ الفاعل(المصيب) ويعبّر عن مجرّد تحقيق الإصابة بصرف النّظر عن مقدار النّفع أو الضّرر المتحقّق للمصاب.

الكلمات المفتاحيّة: المسّ، الإصابة، القرآن الكريم.

Qur’an، where every word and letter holds distinct expressive value. Thus، each word is employed in its context to perfectly convey the intended meaning، accounting for all linguistic and situational variables.

The research concludes that a precise distinction exists: the term "al-mass" is used with a focus on the object (the one touched)، expressing the extent of their perception or sensation of benefit or harm resulting from the contact. Conversely، the term "al-isābah" is used with a focus on the agent (the striker/afflicter)، expressing the mere occurrence of the act، regardless of the degree of benefit or harm experienced by the affected party.

Keywords: Al-Mass، Al-Isābah، the Glorious Qur’an.

Abstract :

Linguists and exegetes have long debated the existence of synonymy in the Arabic language. While some affirm its occurrence، others deny it، attempting to exclude supposedly synonymous words from its scope. This debate intensifies regarding the vocabulary of the Glorious Qur'an، dividing scholars into two camps: the first permits synonymy in the Quranic tongue، viewing it as a form of stylistic variation; the second rejects it entirely، maintaining that every word—and indeed every letter—possesses a unique meaning that cannot be replaced by another. This latter group seeks to uncover the semantic nuances between words alleged to be synonymous by tracing each term through its various contexts to reveal precise distinctions.

The researcher aligns with the second camp، examining the terms "al-mass" (touching/affliction) and "al-isābah" (hitting/striking/affliction) in the Glorious Qur'an. By tracking their Qur'anic usage and analyzing the contexts in which they appear، this study attempts to identify the subtle differences between them. It rejects the notion of their equivalence based on the principle of denying synonymy، particularly in the Glorious

المسّ في اللّغة:

المسّ في اللّغة: جسُّ الشّيء باليد[١]، يقال مسِستُ الشّيءَ بالكسر ومسَسْتُهُ بالفتح أمسُّه مسًّا، فهو من البابين الأوّل والرّابع (نَصَرَ، وفَرِح)، ويقال: الرّابع أفصح[٢].

ونقل الطّريحيّ تقييده بغياب الحائل، وجعله عامًّا في الجوارح كلِّها[٣]، ولذلك قيل هو اتّصال الشّيء بالبشرة[٤].

فأصل الفعل: الجسّ باليد، غير أنّه اُستُعير للأخذ والضّرب؛ لأنّهما باليد، وللجماع؛ لأنّه لمس، وللجنون، كأنّ الجنّ مسّته[٥].

ويُستعمل الفعل استعمالًا مجازيًّا، فيقال: مسّه الكبرُ أو العذابُ أو غيرُ ذلك[٦]، وفي الحديث (فمسّه بعذابٍ)[٧]؛ أيْ: عاقبه[٨].

واشترط الرّاغب الأصفهانيّ في المسّ أنْ يكونَ معه إدراك بحاسّة اللّمس، وجعله عامًّا في كلّ ما ينال الإنسانَ من الأذى[٩]، ولذلك قيل: يُراد منه (بلوغ أثره إلى القوّة الحاسّة بسماع صوت أو إدراك ملاسة أو خشونة و نحو ذلك، و كأنّه لذلك أُطلق على الأذى لتأثيره فيمن يصيبه)[١٠].

ويبدو حصر الرّاغب المسّ بالأذى غريبًا؛ فقد ثبت استعماله في غيره، نحو قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ (آل عمران:١٢٠) وأجيب بأنّه بنى قوله على الأكثر[١١].

ويقال مسّ المرأةَ، بمعنى أتاها[١٢] وقيل: المسّ أوّل ما ينالك من الشّيء، ومنه قولهم: وجد فلانٌ مسَّ الحمّى، بمعنى قَبِلَ أنْ تأخذَ منه مأخذها وتظهر[١٣].

الإصابة في اللّغة:

الإصابة مصدر الفعل (أصابَ) المزيد بالهمزة من (صاب- يصوب)، وقيل فيه لغة أخرى (صاب – يصيب)[١٤]، قال ابن فارس: (الصّاد والواو والباء أصل صحيح يدلّ على نزول شيء واستقراره قراره، من ذلك الصّواب في القول والفعل، كأنّه أمر نازل مستقرّ قراره)[١٥].

ويقال: أصاب الشّيءَ، إذا أراده وقصده، ومنه قولهم:(أصاب الصّوابَ فأخطأ الجوابَ)، وأصابه الشّيءُ، إذا أدركه[١٦].

ويرى الرّاغب أنّ (الصّواب) تارة يُراد به الشّيءُ نفسُهُ، فيقال هذا صواب، وتارة يُراد به القاصد من حيث إدراكه لمقصوده، فيقال: أصاب، إذا وجد ما طلب[١٧].

ويقال: أصابته مصيبةُ، بمعنى أخذته[١٨]، وأَصابهم الدهرُ بنفوسهم وأَموالهم، بمعنى جاحَهُم فيها فَفَجَعَهم[١٩].

وتأتي الإصابة بمعنى الوجدان، قال الزّبيدي: (والإِصَابَةُ: الوِجْدَانُ، يُقَالُ: أَصَابَهُ: رَآه صَوَابًا، وَوَجَدَه صَوَابًا)[٢٠].

وتأتي الإصابة خلاف الإصعاد، ورَوَوا قول كثيّر عزّة[٢١]:

ويَصْدُرُ شَتَّى من مُصِيبٍ ومُصْعِدٍ إِذَا مَا خَلَت مِمَّن يَحِلُّ المَنَازِلُ

والإِصَابَةُ: الاحْتِيَاجُ، يقال أَصَابَه بمعنى أَحْوَجَه[٢٢] .

وجمع الفيروز آبادي معاني الإصابة بقوله: (والإصابة: خلاف الإصعاد، والإتيان بالصّواب، وإرادته، والوجدان، والاحتياج، والتفجيع)[٢٣]

ويبدو أنّ (الإصابة) يمكن أنْ تأتيَ في الخير؛ ففي الحديث: (من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ منه)[٢٤]، غير أنّ ابن منظور له رأي آخر؛ إذ يقول: (أَي: ابتلاه بالمصائب ليثيبَه عليها، وهو الأَمر المكروه ينزل بالإِنسان)[٢٥].

والمصيبة اسم للشّدّة النّازلة[٢٦]، يُقال: أصلها في الرّميّة ثم اختصّت في النّائبة[٢٧] .

الأقوال في الفرق بينهما:

فسّر الفيّوميّ المسّ بالإصابة؛ إذ قال:(ومسَّ الماءُ الجسدَ مسًّا: أصابه)[٢٨]، ويرى ابن عرفة أنّ الإصابة أعمّ من المسّ كونها تصدق على الحسّيّ والنّظريّ بخلاف المسّ الّذي يصدق على الحسّيّ فحسب[٢٩] .

وحقّق الشّيخ مصطفوي في كلتا اللّفظتين، فرأى أنّ أصل الإصابة جريان الأمر وفق الطّبيعة والحقّ، وتُستعمل في الأمور المادّيّة والمعنويّة والأعمّ منهما، وقد يكون فعلًا أو قولًا أو ابتلاءً أو عذابًا، ولا فرق في استعمالها بين الخير

والشّرّ، غير أنّ التّعبير بالمادّة في مورد العذاب إشارة إلى شدّة العذاب ووقوعه على ما هو حقّه[٣٠].

والإصابتان المستعملتان في الخير والشّرّ ترجعان إلى الأصل نفسه، غير أنّ استعمال اللّفظة في الخير اعتبارا بـ (الصّوْب) أيْ: بالمطر، وفى الشّرّ اعتبارًا بإصابة السّهم[٣١].

وقيل: إنّ الإصابة -وإنْ كانت عامّة في الخير والشّرّ لأنّها تعني مطلق النّزول- إلّا أنّ استعمالها في الشّرّ أنسب وأقوى؛ لأنّها فعل المصيبة[٣٢].

وجعل مصطفوي المسّ إصابة في لمس، سواء كان اللّمس باليد أو بغيرها، بإرادة وإحساس أو من دونهما، وجعله عدّة أنماط، مادّيّ ومعنويّ وأعمّ منهما، ومطلق يحتملهما، وأخرويّ يناسب ذلك العالم، ويمكن استعماله في الخير والشّرّ[٣٣].

استعمالهما في القرآن الكريم:

اختلف المفسّرون في الاستعمال القرآنيّ للفظتين، فلم يلحظ عدد منهم مائزًا في إحداهما على الأخرى؛ لذلك عدّوا التّناوب في استعمالهما من باب التّفنّن أو التّوسّع في العبارة، غير أنّ أغلب المفسّرين لم يرتضوا هذا القول، وذهبوا إلى أنّ الإصابة أشدّ من المسّ؛ فالمسّ أدنى مراتب الإصابة، والإصابة توحي بالتّمكّن.

والقول الثّاني منشؤه استعمال القرآن الكريم اللّفظتين في سياق آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران:١٢٠).

فعبّر عمّا ينالُ المؤمنين من حسنة بالمسّ، وما ينالهم من مساءة بالإصابة، وتغاير اللّفظتين في السّياق نفسه يرجّح وجود فرق بينهما.

لكنّ القائلين بهذا الرّأي سرعان ما واجهوا آية أخرى تماثل الأولى استعملت فيها الإصابة مع الحسنة والسّيّئة، هي قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التوبة:٥٠).

توقّف جلّ المفسّرين في أثناء تفسيرهم قوله تعالى:﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ عند سرّ التّعبير عن الحسنة بالمسّ وعن السّيئة بالإصابة، وكثُر حديثهم عنها، غير أنّهم لم يخرجوا عن قولين اثنين:

الأوّل: لا فرق بين التّعبيرين؛ إذ اُستُعير المسّ للإصابة.

ودليل القائلين بهذا الرّأي أنّ القرآن الكريم استعمل كلتا اللّفظتين في الخير والشّرّ، وفي الحسنة والسّيّئة من دون تفريق، قال الزّمخشريّ: إنْ قلت: كيف وُصِفت الحسنة بالمسّ و السّيّئة بالإصابة؟ قلت: المسّ مستعار لمعنى الإصابة، فكان المعنى واحدًا، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ

تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التوبة:٥٠)، ﴿ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(النّساء:٧٩)، ﴿إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾(المعارج:٢٠-٢١)[٣٤].

ووصف ابن عرفة جواب الزّمخشريّ بأنه لا يقتضي [٣٥]، وفُسِّرت الاستعارة بأنّه (شبّه الإصابة بالمسّ في الاتّصال، ثمّ أطلق على المشبّه لفظ المشبّه به على طريق الاستعارة المصرّحة، ثمّ سرت الاستعارة إلى الفعل، فصارت تبعيّة)[٣٦]

وفُهِم من كلام الزّمخشريّ أنّ المسألة من باب الافتنان في الكلام والانتقال من أسلوب إلى آخر[٣٧]، وقال بمبدأ التّفنن أكثر من مفسّر[٣٨].

وقيل: إنّها لا تعدو أنْ تكونَ من باب التّوسعة في العبارة[٣٩]، وقيل: هو من باب المجاز، (و لا منْع في استعمال كلّ منهما في موضع الآخر عند قيام القرينة، فإنّ باب المجاز مفتوح عند أرباب البصيرة)[٤٠].

ورُدَّ قول التفنن بالعبارة بحجّة (كون ذلك لمجرّد التّفنن لا يناسب لطائف التّنزيل و أسرار التّأويل)[٤١].

الثّاني: إنّ الإصابة أبلغ وأشدّ من المسّ، فالمسّ يعبّر عن أدنى مراتب الإصابة، وفي اختلاف اللّفظين إشارة إلى تمكّن الحقد والحسد في نفوس هؤلاء الكافرين حتّى أنّهم يُساؤون لأقلّ حسنة تمسّ المؤمنين؛ لأنّهم يستكثرون كلّ

خير للمؤمن مهما ضؤل، ولا يُسرّون ولا يُشفى غليلهم ولا تهدأ أنفسهم إلا حينما تصيبكم المصائب الجسيمة، التي تغمر وتعمّ وتستمر[٤٢]، (وفي التعبير عن الإصابة بالخير بلفظ المسّ، و التعبير عن الإصابة بالشّرّ بلفظ الإصابة، ما يكشف عن مدى السّقوط و التدلّي من مشارف الإنسانيّة العالية إلى الحضيض و الوحل! فالمسّ بالخير، مجرّد المسّ؛ و هو الشّيء القليل يصيب المسلمين، يفزع له اليهود و يضطربون، و تغلي مراجل نفوسهم غيظًا و كمدًا .. فكيف لو أصاب المسلمون من الخير شيئًا كثيرًا ممّا وعدهم الله به؟ إنّ ذلك ممّا يذهب بنفوس القوم مذاهب التّلف! وإصابة المسلمين بالشّرّ، ينزل بهم، و يعمّهم بالبأساء و الضّرّاء، ينظر إليه هؤلاء القوم نظرًا يملأ نفوسهم بهجة، ويغمر قلوبهم رضًى، ولو كانوا على شيء من الإنسانيّة والمروءة لخفّوا لنجدة المكروبين، و بادروا إلى إغاثة المصابين، فإن لم يكن هذا و لا ذاك فلا أقلّ من نظرة عطف و إشفاق، أو حسرة وألم، فإنْ لم يكن هذا ولا هذا أيضًا فليكن موقف جمود و خمود، أما أنْ يجدَ الإنسان في هذا الموقف مشاعر تتحرّك فرحًا و بهجة، و تتناغى شماتة و غبطة؛ فذلك هو الّذي لا يُعرَف في إنسان غير إنسان اليهود! الخير القليل، القليل جدًّا، يمسّ المسلمين مسًّا، يحسدونهم عليه، و تختنق صدورهم به،

حتّى لتقتلهم الحسرة و يميتهم الكمد! والشّرّ يصيب المسلمين إصابات قاتلة، ويرميهم بالمهلكات .. يجد فيه هؤلاء القوم سعادةً ورضًى، و لذّة و سرورًا)[٤٣].

وقيل: إنّ التّعبير عن الإصابة بالإصابة فصيح، والتّعبير عنها بالمسّ أفصح؛ كون المجاز أبلغ من الحقيقة، وقد جمع الله تعالى في كلامه بين الفصيح والأفصح[٤٤].

وفي الإشارة إلى الإصابة فإنها تعني التقاء و زيادة؛ فالّذي يضرب واحدًا صفعة فإنّه قد يورم صدغه، فالكفّ يلتقي بالخدّ، و يصيب الصّدغ، و هكذا نعرف أنّ هناك فرقًا بين المسّ والإصابة، و حين يقول الحقّ: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، فمعنى ذلك أنّ الحسنة الواقعة بسيطة، وليست كبيرة؛ إنّها مجرد غنيمة أو قليل من الخير ... و مثل هذا الغيظ من الحسنة الصّغيرة هو دليل على أنّ أيّ خير يأتي للمؤمنين إنّما يسبّب التّعب والكدر للكافرين، فمجرّد مسّ الخير للمؤمنين يُتعِب الكافرين، فماذا عن أمر السّيّئة؟)[٤٥].

ووصفه صاحب تفسير المنار بأنّه (هو الوجه، وهو من دقائق البلاغة العليا)[٤٦]، ووصفه محيي الدّين درويش بقوله (و هذا من بديع الكلام الّذي تتقطّع دونه الأعناق)[٤٧].

ونقل الآلوسيّ رأيًا يشير إلى معيارٍ آخرَ في تحديد القلّة أو الكثرة، غير أنّه استبعده قائلًا: (والقول بأنّه لا يبعد أن يقال: إنّ ذلك إشارة إلى أنّ ما يصيبهم

من الخير بالنّسبة إلى لطف الله تعالى معهم خير قليل، وما يصيبهم من السّيّئة بالنّسبة لما يقابل به من الأجر الجزيل عظيم، بعيد كما لا يخفى)[٤٨].

وإذا انتقلنا إلى قوله تعالى:﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التوبة:٥٠).

وجدنا القرآن الكريم ساوى بين وقوع الحسنة ووقوع المصيبة، فسمّى كلتيهما إصابة، ويبدو أنّ هذه الآية الكريمة كانت السّبب الأساسيّ للقول بتساوي المسّ والإصابة؛ إذ كانت حجّة الزّمخشري البارزة وحجّة القائلين بالتساوي من بعده .

غير أنّ ابن عرفة فرّق بينهما مبيّنًا سرّ استعمال المسّ في قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾(آل عمران:١٤٠) والإصابة في آية التوبة، فهو يرى أنّ الإصابة أعمّ من المسّ؛ كونها تصدق على الحسّيّ والنّظريّ؛ لذلك وُصِف المجتهد بالمصيب رغم أنّ أحكامه نظريّة، بخلاف المسّ الّذي يُستعمل مع المحسوسات فحسب، واستعمال المسّ في آية آل عمران من باب التّسلّي ليكون أبلغ[٤٩].

وذهب ابن عاشور إلى أنّ الإصابة لا تُستعمل إلّا في المكروه، وعلّلَ استخدامها مع الحسنة في آية التّوبة بثلاثة تعليلات، أوّلها:وجود القرينة (الحسنة) الّتي صرفته إلى مطلق الحدوث، وثانيها: أنّه من باب المجاز المرسل

أو المشترك اللّفظيّ، وثالثها: أنّه من باب المشترك المعنويّ؛ لأنّ (أصاب) يمكن أن يُشتَقّ من (الصّوْب) وهو نزول المطر بشدّة[٥٠].

وثمّة آية ثانية تحرج القائلين بأنّ الإصابة أبلغ من المسّ، هي قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨)، فلو كان المسّ أدنى درجات الإصابة لما وُصِف بالعظيم، وأُجيب عنه بأنّه (لا مانع في ذلك الجمع للدلالة المذكورة، بل هو مقوٍّ لما قصد من المبالغة في تعظيم العذاب وتفظيع شأنه، كأنّه يقول: إنّ فظاعته بلغت إلى درجة لم يبقَ فرق بين مسّه و إصابته، فيفعل أدنى درجاته فعل أوّلها)[٥١].

ولم تنتهِ التّساؤلات والاعتراضات عند هذه الآية، بل امتدّت إلى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(الأنبياء:٨٣)؛ فلِمَ عبّر عن الضّرّ العظيم الّذي نال أيّوب (عليه السلام) بالمسّ ؟ قيل: فيه إشارة إلى استهانته (عليه السلام) بما أصابه لشدّة صبره[٥٢].

ملامح استعمال اللّفظتين في القرآن الكريم:

استعراض موارد المسّ والإصابة في القرآن الكريم يظهر مجموعة من الملامح والسّمات الّتي تبيّن الاشتراك والاختلاف بينهما؛ منها:

الملمح الأوّل: فاعل المسّ وفاعل الإصابة

يقسّم فاعل المسّ في القرآن قسمين:

الأوّل: الفاعل هو الماسّ بنفسه، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾(يونس:١٢).

وتنوّع الماسّ بهذه الطّريقة؛ إذ كان (الضّرّ، الضّرّاء، البأساء، القرح، نفحة من عذاب، عذاب عظيم، من لغوب، السّوء، الكبر، الشّر، الخير، طائف من الشّيطان، النّار، الحسنة، الرّجال، البشر، عذاب من الرّحمن، عذاب أليم، نصب، لغوب، المطهرون، العذاب، الرّجل والمرأة، سقر).

الثّاني: الماسّ هو الفاعل بواسطة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(الأنعام:١٧).

وجاء الماسّ بهذه الطّريقة (الشّيطانُ بنصب، أنتم بسوء، اللهُ بضر، اللهُ بخير).

والأمر نفسه يقال في فاعل الإصابة؛ إذ جاء من النّوع الأوّل، (من مصيبة، الرّيح، مصيبة، فتنة، من حسنة، من سيّئة، فضل من الله، وابل، الكبر، خير، أمر عامّ، إعصار، القرح، سيّئات ما عملوا، سيّئات ما كسبوا، البغي، معرّة، دائرة، الفتنة، قارعة، حسنة، سيّئة، بعض الّذي يعدكم، صغار، عذاب شديد، عذاب أليم، ما كتب الله، نفي الظّمأ والنّصب والمخمصة).

ومن النّوع الثّاني، (اللهُ بالسّحاب، اللهُ بالعذاب، أنتم بجهالة، اللهُ برحمته، اللهُ بالخير والشّرّ، اللهُ بالصّواعق، اللهُ بالبرد، اللهُ بعذاب منه).

فأنت تلحظ أنّ الماسّ والمصيب، جاء كلّ منهما ماديًّا ومعنويًّا، مُحسنًا وغير محسن.

الملمح الثاني: الممسوس والمصاب في القرآن

تنوّع الممسوس في القرآن الكريم (المؤمنون، الكافرون، النّاس عمومًا، الآباء، أبناء يعقوب، إبراهيم، الّذين اتّقوا، أيّوب، زيت، ناقة صالح، النّساء، مريم، آزر، الكتاب، الّذين كذبوا بآيات الله).

ونُفي المسّ في عدّة مواطن، هي (مسّ اللهِ تعالى اللّغوبُ، مسّ الرّسولِ السّوءُ، مسّ الذين اتقوا السّوءُ).

غير أنّ مسّ الرّسول (ﷺ) المسبوق بالنّفي في قوله تعالى:﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨) في مقام الإثبات؛ فالآية الكريمة تقرّر أنّ السّوء يمسّ الرّسول الكريم (ﷺ) .

وإذا كان الله تعالى قد نفى المسّ عن الّذين اتّقوا في قوله تعالى:﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الزمر:٦١)

فإنّه أثبته لهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(الأعراف: ٢٠١).

وهذا يعني أنّ الله تعالى وحده هو من لا يُمسّ.

كذا تنوّع المصاب في القرآن (عموم النّاس، الكافرون، حرث قوم، المؤمنون، الرّسول، الصّفوان، جنّة بربوة، الذين ظلموا، الذين يخالفون عن أمر الله، قوم معينون، الذين أجرموا).

ولم ينفِ الله تعالى وقوع الإصابة على أحد، فلم يأتِ النّفي إلّا منتقضًا بـ(إلّا) الّذي يؤدّي إلى الإثبات ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾(التوبة:٥١) وقوله تعالى: ﴿ما كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(التّوبة:١٢٠) وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾(الحديد:٢٢) وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(التغابن:١١).

وأمّا قوله تعالى:﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال:٢٥) فهذا النّفي في مقام الإثبات؛ لأنّه يعني إصابة الجميع.

فأنت تلحظ أنّ المسّ يمكن أنْ ينالَ الجميع عدا الله تعالى، أمّا الإصابة فيمكن أنْ تصيبَ الجميع أيضًا، غير أنّ الله تعالى لم ينفِها عنه تعالى، وإنْ لم يرد النّصّ على إمكانيّة إصابته تعالى اسمه.

الملمح الثّالث: أصناف المسّ والإصابة

ليس ثمّة فرق بين المسّ والإصابة من حيث استعمالُهما بقصد النّفع أو الإضرار والإيذاء، بالخير أو بالشّرّ، قال تعالى في المسّ: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج:٢٠-٢١)، وقال أيضًا: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(الأنعام: ١٧).

وقال تعالى في الإصابة:﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التوبة: ٥٠).

وليس بينهما فرق من حيث استعمالهما في المادّيّات والمعنويّات، قال تعالى في المسّ المادّيّ:﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾(النّور:٣٥)، وقال أيضًا ﴿وإن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾(البقرة: ٢٣٧) وغيرهما الكثير، وقال في المسّ المعنويّ:﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾(الحجر:٥٤) وغيرها الكثير، وقال في الإصابة المادّيّة:﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾(البقرة:٢٦٥) وغيرها الكثير، وقال في الإصابة

المعنوية:﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة: ١٥٦) وغيرها الكثير.

رأي الباحث:

يرفض الباحث رفضًا قاطعًا القول بتساوي المسّ والإصابة، بل تساوي أيّ لفظتين أُدّعي فيهما التّرادف ولا سيّما في كتاب الله العزيز، فكلّ كلمة، بل كلّ حرف في القرآن الكريم جاء في موضعه منسجمًا مع السّياق المقاليّ والمقاميّ وكلّ الظّروف المحيطة بالقول ومناسبته والمخاطَب والمخاطِب وغيرها من الأحوال، فإذا ما بدا التّناوب بين لفظتين أو أكثر ظاهريًّا فإنّ إنعام النّظر وتعميق التّدبّر وزيادة التّمحيص والتّأمّل يّظهر السّرّ الكامن وراء استعمال أيٍّ منها في موضعها؛ فـ (في القرآن الكريم دعوة إلى عدم استخدام لفظة مكان لفظة مراعاة للمواقف بكلّ أطرافها، وهو الكتاب الّذي يعدّ الكلمة شكلًا حضاريًّا راقيًا)[٥٣] .

ويتفاوت مستوى الفرق بين المفردات؛ إذ يتراوح بين الظّاهر البيّن الّذي يُدرك من أوّل وهلة إلى الشّديد الخفاء الّذي لا يُدرَك إلّا بعد استقصاء ظروف القول وطول تأمّل وعظيم توفيق.

وبذلك يستبعد الباحث تمامًا القول الأوّل الّذي ذهب إليه عدد من المفسّرين واللّغويّين؛ وهو تساوي معنى اللّفظتين واستعارة إحداهما للأخرى

على طريق المجاز أو من باب التفنّن في العبارة، فلا ينهض التفنّن حُجّة مقنعة في نصّ يمثّل أرقى مستويات الفصاحة والبلاغة وأعلى مراتب الكمال.

أما القول الثاني، وهو أنّ الإصابة أبلغ من المسّ وأنّ المسّ أدنى مراتب الإصابة؛ فكلام لا يعضّده الاستعمال القرآنيّ، فالكثير من المواطن التي أُستُعمل فيها المسّ تدلّ دلالة واضحة جدًّا على إرادة شدّة الإيذاء والألم، ولتأكيد ذلك نسوق الأدلّة الآتية:

١-عند متابعة أساب نزول الكثير من آيات المسّ وسياقاتها المختلفة وأقوال المفسّرين فيها نجد شدّة الإيذاء متحققة فيها بما لا يقبل الشّكّ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾(آل عمران:١٤٠)، فقد فُسّر (القرح) بالجروح الأليمة، وذُكر في سبب نزولها أنّها نزلت يوم أُحد؛ فهي خطاب للمؤمنين لتسليتهم بذكر ما أصاب المشركين من جروح أليمة في معركة بدر الّتي سبقتها، قال الواحديّ:(قال راشد بن سعد: لما انصرف رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) كئيبًا حزينًا يوم أُحد، جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها مقتولين وهي تلدم، فقال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم): أهكذا يُفعل برسولك ؟ فأنزل الله تعالى -إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ- الآية)[٥٤].

(ومن الغريب أنْ يقولَ أحد المفسّرين (لعلّ التّعبير بالمسّ لتهوين ما أصابهم ببيان أنّه مسّ لا نكاية)[٥٥]؛ إذ كيف يستقيم هذا القول مع التّعبير عمّا أصاب المشركين يوم بدر بالمسّ أيضًا في الآية نفسها؟؟

فأنت تلحظ أنّ المسّ هنا يراد منه شدّة الآلام والجروح الّتي نالت المسلمين، وهذا ما جعل ابن الجوزي يقول (أمّا المسّ، فهو الإصابة)[٥٦].

وتكرّر التّعبير بمسّ (البأساء والضّرّاء) و(الضّرّاء والسّرّاء) كثيرًا، وكلّها تشير إلى شدّته لا إلى كونه أدنى مراتب الإصابة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(الأعراف:٩٤-٩٥).

ذكر المفسّرون في تفسير الآية الكريمة أنّ هؤلاء الكافرين حينما أبدل الله تعالى شدّتهم رخاءً سُرّوا بها كثيرًا، فلم يتّعظوا من تقلّب أحوالهم بين شدّة ورخاء، بل قالوا: هذه سنن الدّهر، وقد تقلّبت أحوال آبائنا من قبل بين الشّدّة والرّخاء، فهو أمر طبيعيّ من صروف الدهر، وليس فيه عقوبة أو ثواب[٥٧].

فأنت تلحظ أنّ المسّ هنا يشير إلى شدّة استشعار آبائهم لشدائد الدّهر وفضائله.

وقال تعالى في موطنٍ آخرَ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤).

فشدّة الإيذاء واضحة في الآية الكريمة، ولا سيّما في استعمال لفظة ﴿زُلْزِلُوا﴾ وتساؤل الرّسول (ﷺ) مع المؤمنين عن نصر الله تعالى، قال الطّبرسيّ في تفسيرها: (﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ من القتل والخروج عن الأهل والمال ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وأُزعجوا إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزّلزلة بما أصابهم من الأهوال)[٥٨].

وقال الطّبريّ: (نزلت في يوم الأحزاب، أصاب رسول الله (ﷺ) وأصحابه بلاء وحصر، فكانوا كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾)[٥٩].

وقال الرّازيّ: (وعندي أنّ البأساء عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه، والضّرّاء عبارة عن انفتاح جهات الشّرّ والآفة والألم عليه)[٦٠].

ويبدو أنّ دلالة شدّة الألم الواضحة في الآية الكريمة حمل أبا حيان إلى تفسير المسّ فيها بالإصابة؛ إذ قال:(والمسّ هنا معناه: الإصابة، ...﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أيْ: أُزعجوا إزعاجًا شديدًا بالزلزلة)[٦١].

وتكرّر مسّ (الضّرّ) في القرآن الكريم أيضًا، وجاء في سياقات تدلّ على شدّة الأذى اللّاحق بالممسوس، ولعلّ أوضحها قوله تعالى على لسان نبيّه أيّوب (عليه السلام): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣) فلا يخفى أنّه (عليه السلام) لم يرفع يده بالدّعاء لكشف البلاء إلّا بعد أنْ أخذ به الضّرّ مأخذه العظيم.

في آية أخرى نسب مسّه (عليه السلام) إلى الشّيطان، وجعله ﴿بِنُصْبٍ﴾ ثمّ عطف عليه ﴿عَذَابٍ﴾، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص:٤١)، ولا يخفى ما في الآية الكريمة من دلالات واضحة على شدّة المسّ وقوّته.

ولعلّ مثله قوله تعالى على لسان إخوة يوسف حينما دخلوا على عزيز مصر: ﴿لَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾(يوسف:٨٨) فلا شكّ أنّهم قالوا قولهم بعد أن ألمّ بهم القحط وأخذ منهم مأخذه.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(يونس:١٢).

قال الطّبرسيّ: (أي: المشقّة، والبلاء، والمحنة من محن الدّنيا، ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أيْ: دعانا لكشفه مضطجعًا،﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أيْ: على أيّ حال كان عليها، واجتهد في الدّعاء، وسؤال العافية، وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة، وإنّما غرضه زوال ما هو من الألم والشّدّة)[٦٢].

وقال الزّركشيّ في سياق الحديث عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾(آل عمران:١٩١):(فلم يترك سبحانه قسمًا من أقسام الهيئات، ومثله آية يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾، لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها المبالغة؛ وذلك أنّ المراد بالذكر في الأولى الصّلاة، فيجب فيها تقديم القيام، ثمّ عند العجز القعود، ثمّ الاضطجاع؛ وهذه بخلاف الضّرّ، فإنّه يجب فيها تقديم الاضطجاع، وإذا زال بعض الضّرّ قعد المضطجع، وإذا زال كلّ الضّرّ قام القاعد، فدعا لتتمّ الصّحة، وتكمل القوّة)[٦٣].

فالآية الكريمة تتحدّث عن الشّدائد والمحن الّتي تنال الإنسان وتؤذيه، حتّى أنّه لا يقوى معها على القعود، فيدعو ربّه فيخفّف عنه إلى القعود، ثمّ إلى القيام، وبعد كشف الله تعالى عنه تلك الشّدّة العظيمة الّتي وقع بها يعود إلى حال الكفر والعصيان.

ومثله قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾(الرّوم: ٣٣).

قال الطّبريّ: (قال تعالى ذكره: وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر ضرٌّ، فأصابتهم شدّة وجدوب وقحوط دعوا ربّهم، يقول: أخلصوا لربّهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتّضرّع إليه، واستغاثوا به منيبين إليه، تائبين إليه من شركهم وكفرهم)[٦٤]، وقال النّسفيّ في معنى ﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: (أيْ: خلاصًا من الشّدّة)[٦٥].

ولا أتّفقُ مع مَن ذهب من المفسّرين إلى أنّ التّعبير بالمسّ وتنكير (ضرّ) دليل على القلّة والخفّة[٦٦]؛ فالله تعالى جاء بالضّر معرفة في غيرها، فقال ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾(يونس:١٢) ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾(النّحل:٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٨٠).

فقد ذكر المفسّرون أنّه قول اليهود؛ إذ ادّعوا أنّهم لا يمكثون في النّار إلّا أربعين يومًا مدّة عبادتهم العجل[٦٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ (الحجر:٥٤).

فالآية الكريمة على لسان نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام)، حينما بُشِّر بالولد بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا، بل بلغ الهرم؛ إذ قيل إنّ عمره تجاوز المئة عام حينما نزلت عليه البشارة[٦٨]؛ فلا شكّ أنّ المسّ هنا يشير إلى تمكّن الكبر منه .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨).

قال الزّمخشريّ في تفسير الآية الكريمة: (قولك: وجد مسّ الحمّى، وذاق طعم الضّرب؛ لأنّ النّار إذا أصابتهم بحرّها ولفحتهم بإيلامها فكأنّها تمسّهم مسًّا بذلك كما يمسّ الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم)[٦٩].

وقال الطّبرسيّ: (ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ يعني إصابتها إيّاهم بعذابها وحرّها)[٧٠]، وقال أبو السّعود: (أيْ: قاسوا حرّها وألمها)[٧١] .

فهناك إجماع على أنّ المسّ هنا يعني الدّخول في النّار ومكابدة حرّها اللّاهب الّذي يعجز عن إدراك حجم إيذائه الوصف، ويدلّك على ذلك أيضًا السّياق الّذي وردت فيه الآية الكريمة، إذا سبقها قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، وجعل المسّ مُدركًا بحاسّة التّذوّق يشير

إلى شدّته أيضًا، قال الرّازي:(﴿ذُوقُوا﴾ إشارة إلى أنّ إدراكهم بالذّوق أتمّ الإدراكات، فيجتمع في العذاب شدّته وإيلامه بطول مدّته ودوامه، ويكون المدرك له لا عذر له يشغله، وإنّما هو على أتمّ ما يكون من الإدراك، فيحصل الألم العظيم)[٧٢] .

٢- أسند القرآن الكريم المسّ إلى العذاب، ووصفه بالعظيم تارة، وبالأليم تارة أخرى، وهذا لا يتناسب مع عدّ المسّ أدنى مراتب الإصابة، قال تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٨) وقال أيضا:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النّور:١٤) وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة:٧٣) وقال أيضا: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يس:١٨) وقال أيضًا: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

٣- لعلّ أحد أسباب قول المفسّرين بأنّ المسّ أدنى مراتب الإصابة قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٦).

فقد قيل: إنّ استعمال فعل (المسّ) ولفظة (نفحة) فضلًا عن تنكيرها يشعر بأنّهم يشعرون بالألم لأدنى مراتب العذاب، فكيف حالهم وهم يتعرّضون إلى عذاب الله العظيم؟[٧٣].

والجواب عن ذلك بأمرين:

الأوّل: أنّ هذه النّفحة على قلّتها فإنّها عظيمة، قال ابن زمنين:(قال يحيى: يعني: النّفخة الأولى التي يهلك بها كفّار آخر هذه الأمة)[٧٤] وقال الآلوسّي: (ثمّ الظاهر أنّ هذا المسّ يوم القيامة كما رمزنا إليه، وقيل في الدنيا بناءً على ما رُوِيَ عن ابن عباس من تفسير النّفحة بالجوع الّذي نزل بمكّة)[٧٥].

الثاني: أنّ المسّ هو استشعار النّفع أو الضّرر بصرف النّظر عن مقداره، كما سيتّضح ذلك في رأينا.

والّذي يبدو -والله أعلم- أنّ الإصابة لمّا كان أصلها الوصول إلى الهدف تُطلق بلحاظ المصيب وليس المصاب، وبصرف النّظر عن تأثّر المصاب بها أو عدمه، أمّا المسّ فهو الاستشعار بالإيذاء أو بالمنفعة، فهو يطلق بلحاظ الممسوس وليس الماسّ؛ لأنّ أصله ملامسة البشرة، وإنْ كان قد اُستخدم مجازًا لما هو معنويّ لا يوصف بتماسّ، لكنّه يُنظر إليه بلحاظ الأصل، فقولك: (مسّني الضّرّ) يشير إلى استشعارك أذاه، بخلاف قولك: (أصابني الضّرّ) فإنّه يشير إلى أنّ الضّرّ لم يُخطئني فحسب، بصرف النّظر عن استشعارك أذاه أو عدمه.

ولذلك نفى الله تعالى عن ذاته المقدّسة المسّ ولم ينفِ الإصابة، فإنْ قال قائل: إنّه تعالى لم يثبت الإصابة له، قلنا: لكنّه لم ينفِها كما نفى المسّ، إذا قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(ق:٣٨) فلم يقل جلّ وعلا: (ما أصابنا من لغوب)؛ لأن المسّ -بمعنى الاستشعار بالأذى أو الجهد أو التّعب أو النّصب- منفيّ عنه تعالى، في حين أنّ الأنبياء (عليهم السلام) -بل كلّ ما عدا الله تعالى- يُصابون (يُستهدفون) و(يُمسّون) يستشعرون الأذى أو النّفع.

الفرق بينهما _إذًا_ ليس في ميدان الاستعمال (النّفع، الضّرر، المادّيّ، المعنويّ)، ولا في فاعلهما، ولا في مفعولهما، ولا في حجمهما أو مقدارهما، بل في مدار اللّحاظ، فإنْ كان المدار استشعار المفعول عُبّر عنه بالمسّ، وإنْ كان المدار فعل الفاعل عُبّر عنه بالإصابة، والله أعلم.

ويدلّ على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨)، المعنى استشعروا ألمها الشّديد وأذاها العظيم، فلا تصلح الإصابة في هذا الموضع؛ لأنّ المراد الاستشعار لا الاستهداف.

فإن قيل: ما قولك باختلاف التّعبير بين آية التّوبة: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(التّوبة:٥٠)

وآية آل عمران:﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾(آل عمران:١٢٠)؟ استنادًا إلى ما استقرّ عندك من فرق بين المسّ والإصابة؟

قلنا: آية التّوبة خطاب للرّسول الكريم (ﷺ) وجاءت في سياق قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التّوبة ٤٩-٥١) فهي تتحدّث عن أولئك المنافقين الّذين يستأذنون رسول الله (ﷺ) للتّخلّف عن القتال؛ فإنْ تحقّق النّصر لك يا رسول الله أساءهم، وإنْ حصلت الهزيمة قالوا نحن حسمنا أمرنا منذ البداية؛ إذ لم نكن معك[٧٦]، فأنت تلحظ أنّ مدار الحديث هو وقوع النّصر أو الهزيمة على رسول الله (ﷺ)، فمن المؤكّد أنّ الإصابة هي الاستعمال الملائم للسّياق؛ لذلك قال الشّيخ الطّوسيّ معقّبًا على الآية الكريمة:(والإصابة وقوع الشّيء بما قصد به)[٧٧] فمدار الحديث هنا وقوع النّصر أو وقوع الهزيمة.

أمّا آية آل عمران فهي خطاب للمسلمين، وجاءت في سياق قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا

لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران ١١٩-١٢٠)؛ فالحديث فيها عامّ؛ وليس في سياق الحديث عن النّصر أو الهزيمة؛ لذلك اختلف المفسّرون في معنى السّيئة والحسنة فيها، وتعدّدت أقوالهم بين النّصر والهزيمة، والخصب والجدب، وأُلفة المسلمين وتفرقهم؛ قال ابن عطيّة:(«الحسنة و السّيئة» في هذه الآية لفظ عامّ في كلّ ما يحسن و يسوء، و ما ذكر المفسّرون من الخصب و الجدب و اجتماع المؤمنين و دخول الفرقة بينهم و غير ذلك من الأقوال؛ فإنّما هي أمثلة و ليس ذلك باختلاف)[٧٨]، وعلّل ابن عطيّة استعمال (المسّ) مع (الحسنة) والإصابة مع السّيئة؛ إذ قال: (و ذكر تعالى «المسّ في الحسنة» ليبيِّن أنّ بأدنى طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثمّ عادل ذلك بالسّيئة بلفظ الإصابة و هي عبارة عن التّمكّن؛ لأنّ الشّيء المصيب لشيء فهو متمكّن منه أو فيه؛ فدلّ هذا المنزع البليغ على شدّة العداوة؛ إذ هو حقد لا يذهب عند الشّدائد، بل يفرحون بنزول الشّدائد بالمؤمنين، و هكذا هي عداوة الحسد في الأغلب)[٧٩].

وأرى أنّ استعمال (المسّ) مع الحسنة، و(الإصابة) مع السّيئة للإشارة

إلى أنّهم لا يساؤون إلّا حينما تستشعرون الحسنة وتنتفعون بها، في حين أنّهم يفرحون بمجرّد أن توجّه إليكم السّيئة، وفيه دليل على شدّة حقدهم وغيظهم على المسلمين، فهم يعضّون الأنامل من الغيظ.

أما قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة:٧٨-٧٩).

فالمسّ هنا يحتمل أمرين، الأوّل: المسّ الحقيقيّ، بمعنى الاتصال المباشر، فتكون (لا) ناهية، ويكون المعنى النّهي عن مسّ غير الطّاهر الكتاب، نحو الحائض والمجنب والمُحدِث، في حال كان الحديث عن الطّهارة الظّاهريّة، أمّا إذا كان الحديث عن الطّهارة المعنوية، فيكون النّهي موجّهًا إلى المشرك، والاحتمال الثّاني أن يكون المسّ مجازيًّا فتكون (لا) نافية، ويكون المعنى نفي أنْ يُدرك أحدٌ معانيَ القرآن ويفهم حقائق معانيه إلّا من طهُر سرّه[٨٠]، ففي حال كون المراد في الآية الكريمة المسّ المجازيّ تتضح دلالة (المسّ) على مقدار الانتفاع الحاصل للماسّ، وتوقّف حصول الانتفاع على الاستعداد لتلقيه.

أمّا إذا كان المراد من المسّ المعنى الحقيقيّ، فإنّه يشير إلى الاتّصال المباشر فحسب كما جاء قوله تعالى ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾(المجادلة:٤) ونحوه عدد من الآيات الأخرى، وهي خارج مدار الحديث عن استشعار النّفع أو الأذى.

الخاتمة والنّتائج:

بعد رحلة البحث العلمي والتّتبّع الدّقيق للآراء المفسّرين واللّغويّين وإنعام النّظر في الاستعمال القرآنيّ لكلّ من (المسّ) و(الإصابة) توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

١- رفض القول بتساوي الكلمتين في الاستعمال القرآنيّ، وأنّ استعمالهما من باب التّفنن في العبارة، فلا يقوم التّفنن سببًا كافيًا لإيثار إحداهما على الأخرى في المواضع التي أُستعملا فيها.

٢- عدم الاتفاق مع من ذهب إلى أن (المس) يشير إلى أدنى مراتب الإصابة؛ لأنّ تتبّع السّياقات الّتي ورد فيها (المسّ) أثبتت أنّه لا يقلّ شدّة وإيذاء عن الإصابة؛ فضلًا عن إسناد القرآن الكريم المسّ إلى العذاب، ووصفه بالعظيم تارة، وبالأليم تارة أخرى.

٣- لا يتّفق الباحث مع القول بأنّ الاختلاف بينهما في ميدان الاستعمال (المادّيّ والمعنويّ) و(النّفع والضّرر)، ولا في فاعلهما، ولا في مفعولهما، ولا في حجمهما أو مقدارهما.

٤- أنّ الإصابة لمّا كان أصلها الوصول إلى الهدف تُطلق بلحاظ المصيب وليس المصاب، وبصرف النّظر عن تأثّر المصاب بها أو عدمه، أمّا المسّ فهو الاستشعار بالإيذاء أو بالمنفعة، فهو يطلق بلحاظ الممسوس وليس الماسّ؛لأنّ

أصله ملامسة البشرة، وإن كان قد أُستخدم مجازًا لما هو معنويّ لا يوصف بتماس، لكنه يُنظر إليه بلحاظ الأصل، فقولك: (مسّني الضّرّ) يشير إلى استشعارك أذاه، بخلاف قولك: (أصابني الضّرّ) فإنّه يشير إلى أنّ الضّرّ لم يُخطئني فحسب، بصرف النّظر عن استشعارك أذاه أو عدمه.

ولذلك نفى الله تعالى عن ذاته المقدسة المسّ ولم ينف الإصابة؛ لأن المسّ -بمعنى الاستشعار بالأذى أو الجهد أو التعب أو النّصب- منفيّ عنه تعالى، في حين أنّ الأنبياء (عليهم السلام) -بل كلّ ما عدا الله تعالى- يُصابون (يُستهدفون) و(يُمسّون) يستشعرون الأذى أو النّفع.

الهوامش:

١- ينظر معجم مقاييس اللّغة ٥ / ٢٧١

٢- ينظر الصّحاح (مسس) ٣ / ٩٧٨

٣- ينظر مجمع البحرين ٤/ ١٠٧

٤- ينظر حاشية الشّهاب ٢/ ٣٠٥

٥- ينظر النّهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٢٩، ولسان العرب (مسس) ٦/ ٢١٨

٦- ينظر أساس البلاغة ٩٠٠.

٧- الحديث في السّنن الكبرى ٩/ ١٣٧،وصحيح ابن حبان ١١/ ٦٠٨

٨- ينظر النّهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٢٩

٩- ينظر المفردات في غريب القرآن ٤٦٧

١٠- حاشية الشّهاب ٢/ ٣٠٥

١١- ينظر حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي و معه حاشية ابن التمجيد ٣/ ٤٥٠

١٢- العين ٧/ ٢٠٩

١٣- ينظر تاج العروس ٨/ ٤٧٣

١٤- ينظر القاموس المحيط ١/ ٩٤

١٥- معجم مقاييس اللّغة ٣/ ٣١٧

١٦- ينظر المصباح المنير ١/ ٣٥٠

١٧- ينظر المفردات في غريب القرآن ٢٨٧

١٨- ينظر الصّحاح ١/ ١٦٥

١٩- ينظر لسان العرب ١/ ٥٣٥

٢٠- تاج العروس ٢/ ١٥٤

٢١- ينظر تاج العروس ٢/ ١٥٤ والبيت في ديوانه: ٢٩٦

٢٢- ينظر تاج العروس ٢/ ١٥٥

٢٣- القاموس المحيط ١/ ٩٤

٢٤- صحيح البخاريّ:٧/ ٣

٢٥- لسان العرب ١/ ٥٣٦

٢٦- ينظر المصباح المنير ١/ ٣٥٠

٢٧- ينظر المفردات ٢٨٨

٢٨- المصباح المنير ٥٧٢

٢٩- ينظر تفسير ابن عرفة ١/ ٤٢١

٣٠- ينظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٦/ ٢٩٣

٣١- ينظر المفردات ٢٨٨.

٣٢- ينظر حاشية الشّهاب ٢/ ٣٠٦

٣٣- ينظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١١/ ١٠٦ - ١٠٨ .

٣٤- الكشّاف ١/ ٤٠٨

٣٥- ينظر تفسير ابن عرفة ١/ ٤٠٤

٣٦- حاشية القونوي ٦/ ٢٩٥

٣٧- ينظر حاشية القونوي ٦/ ٢٩٥

٣٨- ينظر تفسير الآلوسّي ٤/ ٤٠، و تفسير القاسميّ ٢/ ٣٩٦، والتحرير و التنوير ٣/ ٢٠٣.

٣٩- ينظر فتح الرّحمن شرح ما يلتبس من القرآن ٥٧

٤٠- حاشية القونوي ٣/ ٤٥٠

٤١- حاشية القونوي ٦/ ٢٩٥

٤٢- ينظر نظم الدرر ٢/ ١٤٢، وتفسير أبي السّعود ٢/ ٧٧، ورياض السّالكين ٤/ ٦٦، وحاشية القونوي ٦/ ٢٩٥، و فتح القدير ١/ ٣٧٦، وآلاء الرّحمن في تفسير القرآن ١/ ٣٣٦، وزهرة التفاسير٣/ ١٣٨٥،و التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٥٦٧ .

٤٣- التفسير القرآنّي للقرآن ٢/ ٥٦٧

٤٤- ينظر حاشية القونوي ٦/ ٢٩٥

٤٥- تفسير الشّعراويّ ٣/ ١٧٢٢

٤٦- تفسير المنار، ٤/ ٩٢

٤٧- إعراب القرآن الكريم و بيانه ٢/ ٤٣

٤٨- تفسير الآلوسي ٤/ ٤٠

٤٩- ينظر تفسير ابن عرفة ١/ ٤٢١

٥٠- ينظر التحرير والتنوير ١٨/ ٢١٠

٥١- حاشية الشّهاب ٢/ ٣٠٦

٥٢- ينظر حاشية الشّهاب ٢/ ٣٠٦

٥٣- جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتّفسير٥٨

٥٤- أسباب النّزول للواحديّ ٨٣، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ١٧٢

٥٥- آلاء الرّحمن ١/ ٣٤٦

٥٦- زاد المسير٢/ ٣٣

٥٧- ينظر تفسير السّمرقندي ١/ ٥٤٩، وتفسير السّمعاني ٢/ ٢٠٠، ومجمع البيان ٤/ ٣١٠

٥٨- جوامع الجامع ١/ ٢٠٤

٥٩- جامع البيان ٢/ ٤٦٤

٦٠- تفسير الرّازيّ ٦/ ٢٠

٦١- البحر المحيط ٢/ ١٤٩

٦٢- مجمع البيان ٥/ ١٦٣

٦٣- البرهان للزّركشّي ٣٤٧٢

٦٤- جامع البيان ٢١/ ٥٢

٦٥- ينظر تفسير النّسفيّ ٣/ ٢٧٤

٦٦- ينظر الآلوسي ٢١/ ٤٢، والميزان ١٦/ ١٨٣، والأمثل ١٢/ ٥٣٢ .

٦٧- ينظر جامع البيان ١/ ٥٣٨، و مجمع البيان ١/ ٢٨٠

٦٨- ينظر تفسير السّمرقنديّ ٢/ ٢٥٨ والتّسهيل ١/ ٤١٨

٦٩- الكشّاف ٤١

٧٠- مجمع البيان ٩/ ٣٢٤

٧١- تفسير أبي السّعود ٩/ ١٧٤

٧٢- تفسير الرّازيّ ٢٩/ ٧١

٧٣- ينظر تفسير النّسفي ٣/ ٨٢، و الكشاف ١/ ٥٧٥، وتفسير البيضاوي ٤/ ٩٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٩٣

٧٤- تفسير ابن زمنين ٣/ ١٤٩

٧٥- تفسير الآلوسّي ١٧/ ٥٤

٧٦-ينظر تفسير السّمرقندي ٢/ ٦٤،وتفسير الثعلبي ٤/ ٥٣، والتبيان في تفسير القرآن، ١/ ٢٣٣

٧٧- التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٢٣٤

٧٨- المحرر الوجيز ١/ ٤٩٨

٧٩- المحرر الوجيز ١/ ٤٩٨

٨٠- ينظر تفسير الثعلبي ٩/ ٢١٨، والتبيان في تفسير القرآن ٩ / ٥١٠، وزاد المسير ٧/ ٢٩٣، والميزان ١٩/ ١٣٠

المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير، مجد الدين (ت ٦٠٦هـ)، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطّناحي، الطّبعة: الرّابعة، النّاشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنّشر والتوزيع - قم – إيران.

٢- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن محمد (ت ٥٩٧هـ) زاد المسير، تحقيق: محمّد بن عبد الرّحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، الطّبعة الأولى، ١٩٨٧م .

٣- ابن حبان، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطّبعة: الثانية، سنة الطّبع: (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، النّاشر: مؤسسة الرّسالة.

٤- ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين(ت٣٩٩ هـ)، تفسير ابن زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الطّبعة الأولى، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م)، مطبعة الفروق، القاهرة، مصر.

٥- ابن عاشور، محمد الطّاهر ت (١٣٩٤هـ)، تفسير التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، النّاشر: مؤسسة التاريخ العربي، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٠ هـ)، الطّبعة: الأولى.

٦- ابن عرفة، محمد بن محمد ت(٨٠٦هـ)، ا تفسير ابن عرفة، النّاشر: دار

الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٨هـ)، الطّبعة: الأولى.

٧- ابن عطية، عبد الخالق بن غالب (ت٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: محمد عبد السّلام عبد الشّافي، إعداد: الطّلبة، جمال، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: ١٤٢٢ هـ، الطّبعة: الأولى.

٨- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت٣٩٥هـ)، مقاييس اللّغة، تحقيق:عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل،بيروت،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٩- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة، ١٤٠٥هـ .

١٠- أبو السّعود، محمّد بن محمّد العماديّ (ت ٩٥١هـ)، تفسير أبي السّعود، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت .

١١- أبو زهرة، محمد، ت (١٣٩٥هـ)، زهرة التفاسير، النّاشر: دار الفكر، مكان الطّبع: بيروت،الطّبعة: الأولى.

١٢- الآلوسيّ، أبو الفضل شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ)، تفسير الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

١٣- الأندلسيّ، أبو حيان (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تقديم: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوض، شارك في التحقيق: الدكتور زكريّا عبد المجيد النّوقيّ، والدكتور أحمد النّجوليّ الجمل، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٤- الأنصاريّ، زكريا بن محمد، (ت٩٢٦هـ)، فتح الرّحمن شرح ما يلتبس من القرآن، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٤هـ)، الطّبعة: الأولى.

١٥- البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ، سنة الطّبع: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، النّاشر: دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطّباعة العامرة بإسطنبول.

١٦- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، تحقيق: المهدي، عبد الرّزاق غالب، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٧هـ)، الطّبعة: الثالثة.

١٧- البلاغي، محمد جواد (١٣٥٢هـ)، آلاء الرّحمن في تفسير القرآن، المحقق: مؤسسة البعثة، شعبة التحقيقات الإسلامية، النّاشر: الوجداني، مكان الطّبع: قم المقدسة، الطّبعة: الأولى.

١٨- البيضاوي، ناصر الدين (ت٦٨٢هـ)، تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، المطبعة: بيروت - دار الفكر، النّاشر: دار الفكر.

١٩- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، السّنن الكبرى، النّاشر: دار الفكر.

٢٠- الثعلبي، أبو إسحق أحمد (ت ٤٢٧هـ)، تفسير الثعلبيّ المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٢م .

٢١- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت بحدود ٤٠٠هـ)، الصّحاح (تاج اللّغة وصحاح العربيّة)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطّبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، الطّبعة الرّابعة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

٢٢- الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، النّاشر: دار الفكر العربي،مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٤ هـ)،الطّبعة: الأولى.

٢٣- الخفاجي، أحمد بن محمد، ت (١٠٦٩هـ)، حاشية الشّهاب المسماة عناية القاضي و كفاية الرّاضي،،المحقق: المهدي، عبد الرّزاق، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤١٧هـ)،الطّبعة: الأولى.

٢٤- الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، النّاشر: الإرشاد، مكان الطّبع: حمص، تاريخ الطّبع: (١٤١٥ هـ)، الطّبعة: الرّابعة.

٢٥- الرّازيّ، محمّد بن أبي بكر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، الطّبعة الثالثة، بلا محقّق ولا مطبعة، د.ت .

٢٦- الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٤٢٥هـ)، مفردات غريب القرآن، دار نشر الكتاب، الطّبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .

٢٧- رضا، محمد رشيد (ت ١٣٥٣هـ)، تفسير المنار، النّاشر: دار المعرفة، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤١٤ هـ)، الطّبعة: الأولى.

٢٨- الزبيديّ، محمّد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر(بيروت)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٩- الزركشيّ، بدر الدين محمّد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاؤه، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م .

٣٠- الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، قدّم له وشرح غريبه وعلّق عليه: الدكتور محمد أحمد قاسم، المكتبة العصريّة، الطّبعة الأولى،مصر،٢٠٠٣م.

٣١- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التآويل، النّاشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م.

٣٢- السّمرقندي، أبو اللّيث نصر بن محمد (ت ٣٨٣هـ)، تفسير السّمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ت .

٣٣- السّمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد (ت: ٤٨٩هـ)، تفسير السّمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الطّبعة: الأولى، سنة الطّبع: (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المطبعة: السّعودية - دار الوطن – الرّياض، النّاشر: دار الوطن – الرّياض.

٣٤- الشّعراوي، محمد متولي، (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشّعراويّ، النّاشر: أخبار اليوم، إدارة الكتب و المكتبات،مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤١١ هـ) ،الطّبعة: الأولى.

٣٥- الشّوكاني، عليّ بن محمّد الشّوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدراية من علم التفسير، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٣٦- الشّيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، النّاشر: مدرسة الإمام عليّ، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى، مطبعة أمير المؤمنين (عليه السلام)،١٤٢١هـ.

٣٧- الطّباطبائيّ، العلاّمة السّيد محمد حسين ت(١٤١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن،، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت لبنان الطّبعة الاولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧.

٣٨- الطّبرسيّ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النّشر الإسلاميّ، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٩- الطّبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، تقديم: السّيّد محسن الأمين العامليّ، الطّبعة الأولى، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٠- الطّبري، ابن جرير (ت٣١٠هـ)، تفسير الطّبري المسمى (جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن)، تقديم: الشّيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤١- الطّريحي، فخر الدين بن محمد، (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، المحقق: أحمد الحسيني الإشكوري، أحمد، النّاشر: مرتضوي، مكان الطّبع: طهران، تاريخ الطّبع: (١٤١٦هـ)،الطّبعة: الثالثة.

٤٢- الطّوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطّبعة: الأولى، سنة الطّبع:رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، النّاشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

٤٣- الغرناطيّ الكلبيّ، محمد بن أحمد بن محمد (ت٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربيّ، لبنان، الطّبعة الرّابعة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٤- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت:١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السّامرائي،الطّبعة: الثانية، سنة الطّبع: ١٤٠٩هـ،النّاشر: مؤسسة دار الهجرة - ايران - قم .

٤٥- الفيروز آبادي، ت (٨١٧هـ)، القاموس المحيط.

٤٦- الفيومي، أحمد بن محمد، (ت ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، للفيومي،،النّاشر: دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع.

٤٧- القاسمي، جمال الدين، (ت ١٣٣٢هـ)، تفسير القاسميّ المسمى (محاسن التأويل)، المحقق: عيون السّود، محمد باسل،النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤١٨ هـ).

٤٨- القونوي، أبو المفدى إسماعيل بن محمد (ت ١١٩٥هـ)، حاشية

القونوي على تفسير الإمام البيضاوي و معه حاشية ابن التمجيد، المصحح: عمر، عبدالله محمود، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون،مكان الطّبع: بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤٢٢ هـ)،الطّبعة: الأولى.

٤٩- كثير عزة، أبو صخر بن عبد الرّحمن(ت١٠٥هـ)، ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، مجيد طراد، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان،(١٩٧١م) جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، مجيد طراد، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، (١٩٧١م).

٥٠- المدني الشّيرازي، السّيد علي خان (ت ١١٢٠هـ)، رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد السّاجدين (عليه السلام)، تحقيق: السّيد محسن الحسيني الأميني، الطّبعة: الرّابعة، سنة الطّبع: (١٤١٥هـ)، المطبعة: مؤسسة النّشر الإسلامي، النّاشر: مؤسسة النّشر الإسلامي.

٥١- المصطفوي، الشّيخ حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الطّبعة: الأولى، سنة الطّبع: (١٤١٧هـ)، النّاشر: مؤسسة الطّباعة والنّشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٥٢- النّسفي، عبد الله بن أحمد (ت ٥٣٧هـ)، تفسير النّسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، بلا محقق ولا مطبعة ولا تأريخ الطّبع.

٥٣- الواحديّ، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق:

الزغلول كمال بسيوني، النّاشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، تاريخ الطّبع: (١٤١١ هـ)، الطّبعة: الأولى.

٥٤- ياسوف، أحمد، جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبيّ للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، الطّبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.